الأثر الأيديولوجي فـــي بنية الفضـــاء الداخـلي

حسين جمعة نجم الزبيدي.....

مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017 ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print)

مستخلص البحث

غالباً ما تولد الانظمة التصميمية علاقات ضمن إطار مفهومها في التصميم الداخلي، كما يُمكن توليد نظام أو أكثر بين العلاقات التصميمية ضمن هذا المفهوم في بنية نتاجات فضاءاته الداخلية، عن طريق تجزئة الكُل إلى إجزائه، لكشف مكامن الخفاء فيها ومراحل تكوينها وعلاقاتها الرابطة والمتبادلة فيما بينها، ومن ثَمَّ إعادة تكوين ذلك الكل من أجزائه سواء في العمليات التصميمية عند مراحلها الأولية أو في عمليات المعالجات التي تستدعيها الضرورة بعد انجاز تصميمها وتداولها، لتمكنها من استخدام فعاليات أخرى قريبه من فعالياتها الأولى التي صممَت من أجلها، بضاغط الأثر الأيديولوجي وابعاده الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، فضلاً عن الوسط البيئي المحيط الذي يفرض نظام توزيع هذه الفضاءات وشكلها وحجمها، ومن ثَمَّ تُحدد جزئياتها من قطع أثاث حتى أدق التفاصيل، ومدى تأثير هذه الجزئيات في الكُليات، واستيعاب الأخير لكم ونوع تلك الجزئيات، ما يجعله مُكَيَّف بمتغيرات التطوير والتجدد، في حدود بنيته على وفق متغيرات الزمان والمكان.

لذلك ارتأى الباحث اختيار عنوان بحثه الموسوم بـ: **(الأثر الأيديولوجي في بنية الفضاء الداخلي)**، إذ يهتم بدراسة بنية الفناء الوسطي في البيت العربي الدمشقي القديم، الذي يشهد اليوم تحولاً في بنيته الوظيفية بدوافع الاستثمارات السياحية في المدينة. وعليه ، تناول الإطار المنهجي في طرح المشكلة المتضمنة معرفة الأثر الأيديولوجي ودوره في التحول الوظيفي للفناء الداخلي من جانب ودوره أيضاً في الحفاظ على تراثه الأصيل من الزوال بمساعدة النظام البنائي التصميمي من جانبٍ آخر. وأهميته وهدفه وحدودهُ ثم تحديد المصطلحات المستخدمة في البحث وتعريفها. أما الإطار النظري: البنية وعلاقاتها في مفهوم الفضاء الداخلي من الجزئيات إلى الكُليات، واستعراض الجذور التاريخية لمرجعيات النظام المركزي الذي يمتاز به الفناء الداخلي فضلاً عن الأثر الأيديولوجي في التحول الوظيفي والجمالي للبيت الدمشقي القديم لفعاليات أخرى. ثم استُخلِصَ من هذا الفصل مجموعة مؤشرات تم اعتمادها في عملية التحليل لإجراءات البحث الميدانية. وتضمنت إجراءات البحث من حيث المنهجية، حيثُ اعتُمِدَ المنهج الوصفي في دراسة الحالة لتحليل العينة، ومجتمع البحث المتمثل بالبيوت الدمشقية القديمة، وعينته القصدية في دراسة للفناء الوسطي لمطعم فندق الياسمين، وأداة البحث في محاورها الثلاثة. ثم وصف العينة وتحليلها. وأخيراً عرض النتائج التي توصل إليها البحث من خلال عملية التحليل، ثم الاستنتاجات مع المقترحات والتوصيات.

أما أهم نتائج الدراسة فهي كالآتي:

1. حقق نظام التوزيع المركزي للفضاءت الداخلية، دوره الفاعل في موضوع التوليد والاختزال. إذ جاء الأول بتشيؤ الفناء الوسطي عن طريق محددات الفضاءات المحيطة، منحته دور الفضاء الرئيس للفعاليات التي يقوم بها المستخدم، تماثلت في جزئية منها عند تحوله إلى مطعم ومقهى. وجاء الثاني في احتوائه التصميم بالمساحات الضيقة.
2. كان للأثر الأيديولوجي أبعاد مختلفة بين ما تدعو للتغيير كالبُعد الاقتصادي، كما في الخطوة الاولى لعملية الاستثمار السياحي. وما تدعو للمحافظة والبقاء كالأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية للتواصل مع بلدان المنطقة المجاورة والقريبة ممن يمتلكون هذا الموروث الحضاري.
3. تحددت المعالجات التصميمية في بنية الفناء الوسطي من الانظمة التي تحتوي علاقات خاصة بها، وانفتحت عن طريق جزئياتها من عناصر مادية وفيزيائية. كما ظهرَ في سقف فتحة الفناء وامكانياتها المتغيرة وما ظهرَ في مناضد الطعام وتوزيعها العشوائي كجزئيات مُكَيِّفة للتغيير.

الإطار المنهجي للبحث:

مشكلة البحث :

تعتمد البنية التصميمية في الفضاءات الداخلية للبيت الدمشقي القديم، نُظم بناء مُترابطة، صُممت وشُيدت بدوافع متطلبات الحاجة الوظيفية وبضوابط اجتماعية تراثية، لها مكانة محببة في نفوس مستخدميها، تفرض الكُليات في تحديد اشكالها واحجامها، والجزئيات من أثاث ومكملات وعناصر فيزيائية متأثرة بها. كما تؤثر الجزئيات أيضاً في بنية ذلك الكُل عن طريق ما تحدده من علاقات منفتحة فيما بينها تمنحها قابلية التَكيُّف لفعاليات أخرى، إذ نجد ذلك في فضاء فنائه الداخلي الرئيس، وظاهرة استثماره وباقي الفضاءات، منذُ نهاية القرن الماضي لاستخدامات أخرى قريبة من وظيفته التي صُممَ من أجله، بفعل الأثر الاقتصادي في استثماره السياحي وما ترتب على وفق ذلك من آثار ثقافية وسياسية واجتماعية أيديولوجية، ساهمت في الحفاظ على اصالته.

إن تصميم الفضاء الداخلي على وفق البنية المغلقة، يُقدم أولوية الثابت في المنظومة الكُلية على المتغير الممكن في العناصر الجزئية وعلاقاتها فيما بينها، عندما يتطلب الأمر تغييراً في وظيفته الاستخدامية، على أن يكون ذلك ضمن جزئيات بنائها دون الحذف أو التقليص بمفردات تؤثر في المنظومة الكُلية للفضاء. ولهذا لم تبتعد وظيفة فضائه كثيراً بعد التغيير عن وظيفته قبل التغيير، لما فرضه النظام التصميمي وعلاقاته المترابطة بفاعلية التأثير المتسلسل من الكُليات إلى الجزئيات. فكان لهذا النظام المغلق الأثر الفاعل في الحفاظ والبقاء على تراثه الأصيل. فضلاً عن الأثر الأيديولوجي في بُعدِهِ الاقتصادي ودعوته للاستثمار السياحي. لذلك تحددت مشكلة البحث من خلال التساؤل الآتي:

ما هيَ أبعاد الأثر الأيديولوجي؟. وكيف ساهمت في الحفاظ على تراث البيت الدمشقي القديم من الزوال بعد استثماره السياحي؟ وما دوره في التحول الوظيفي لفضاء الفناء الداخلي من فعالية معيشة إلى مطعم؟. وما هو النظام البنائي التصميمي الذي جعلَ حدود التغيير فيه ضمن نظام بنيته المغلقة؟.

أهمية البحث :

تناول موضوع الابعاد الأيديولوجية التي أثرت في بنية الفناء الداخلي. فحافظَت البعض على اصالته مع النظام البنائي المُشيأ له. وأثرت أخرى في تغيير وظيفته. فضلاً عن اغناء ذوي الاختصاص الدقيق من طلبة ومهنيون والاختصاصات المناظرة، استثمار هذه الدراسة ومساهمتها بدعم الجهات المختصة في الحفاظ على الابنية التراثية، واستثمارها بفعاليات أخرى قريبة منها.

هدف البحث :

التعرف على أبعاد الأثر الأيديولوجي، وكشف دور الكُليات المترتبة على وفقها في فناء البيت الدمشقي القديم، من نظام توزيع فضائي في جزئيات شكل وحجم الفضاء وعلاقات العناصر التصميمية الأخرى، التي ساهمت في الحفاظ على تراثه الأصيل بعد عملية استثماره السياحي وتغيير فعالية وظيفته.

حدود البحث :

الموضوعية: دراسة الأثر الأيديولوجي في البنية الكُلية للفضاء الداخلي وأثر ذلك في البنى الجزئية.

المكانية: فضاء الفناء الداخلي لمطعم فندق دار الياسمين في باب توما (دمشق القديمة).

الزمانية: المدة من 1991 منذُ بدأ أول استثمار للبيت الدمشقي القديم، وإلى نهاية عام 2016.

تحديد المصطلحات :

الأثر: عُرِفَ بـ: **"بقية الشي، والجمع: آثار وأثور، وخرجت في إثره، أي بعده، وأنثرته وتأثرته، تتبعت أثره.. والأثر: ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك به أثراً"(1، ص42).** كذلك بـ: **"أثر الجراح يبقى البُرء.. والأثر في الأرض يَخُفُّها أو حافرها، وأثارةٌ من عِلم، أي بقيةٌ منه"(10، ص18 -19).** وعرفه أمبرتو ايكو بأنه: **"ما يتركه الكُتّاب الأصليون على مجموعة من الأعمال الكلاسيكية هامشاً من الحرية الذين يقومون بتأديتها"(3، ص7).**

التعريف الإجرائي: هو ما تبقى بالشيء بفعل مسببات شيئاً آخر.

الأيديولوجي: تُعَرف: **"نسبةً إلى الأيديولوجيا.. علم الأفكار وموضوعة دراسة الأفكار والمعاني وعلاقتها بالعلامات التي تُعَبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص.. والأيديولوجيون هم القائلون بالأيديولوجيا، وخاصة في علم السياسة والاقتصاد"(22، ص29).** وتُعَرَف الايديولوجيا بـ: **"نسق من الآراء والأفكار والنظريات السياسية والحقوقية والدينية والاخلاقية والجمالية والفلسفية. وجزء من الوعي الاجتماعي، تتحدد بظروف حياة المجتمع المادية، وتعكس العلاقات الاجتماعية"(23، ص80).** كذلك تُعرَف بأنها: **"جزء من البناء الفوقي، الذي يعكس العلاقات الاقتصادية. ففي مجتمع من الطبقات المتطاحنة يتطابق الصراع الإيديولوجي مع الصراع الطبقي.. وقد تكون انعكاساً صادقاً أو زائفاً للواقع"(24، ص68).**

التعريف الإجرائي: جملة من الآراء والأفكار التي تتحدد بظروف العلاقات الاجتماعية من سياسة واقتصاد وثقافة. وتؤثر في حياتهم المادية ووعيهم وانطباعاتهم وميولهم.

بنية: عَرفها (صليبا) بأنها **"البنيان، أو هيئة البناء.. وتُطلق على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة، بحيث تكون على كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى، ومتعلقة بها"(8، ص217).** وتُعرف بأنها: **"مفهوم**

العلاقات الباطنة الثابتة التي تقدم الكل على أجزاءه، بحيث لا يُفهم هذا الجزء بصورة مستقلة خارج الوضع الذي يشغله داخل المنظومة الكلية"(14، ص259). والبنية: **"اجتماع مجموعة عناصر في وحدة شاملة، تتميز بخصائص محددة لمجموعها، بحيث تتوقف هذه العناصر جزئياً أو كلياً على مميزات الوحدة الشاملة"(15،** ص229).

التعريف الإجرائي: منظومة كُلية متماسكة من مجموع جزئيات مترابطة على وفق علاقات قصدية متسلسلة تؤثر الواحدة في الأخرى.

الفضاء الداخلي: يُعَرَف بأنه: حيِّزاً مغلقاً، يفصله عن الفضاء الخارجي محددات عمودية وأفقية. تُعطي الفضاء عمارته وهيئته، وتُحدد الصفات العامة الرئيسة له، وتحقق دوراً فعالاً في الجوانب الوظيفية التي يشغلها(32, p52). ويُعَرف بأنه: المادة الأولية والعناصر الأساسية في التصميم الداخلي التي يتعامل معها المصمم، ويكتسب وجودها وقيمتها الوظيفية الجمالية من مجموع عناصرها (29, p11). كذلك هو **"المكان المدرك على انه حيز متسع يسمح بالحياة وان الجوانب المكانية هي مجال للحركة والنشاط للجسم والمسافات بين الأشياء لإبراز كيانها في الفضاء"**(4، ص39).

التعريف الإجرائي: حيِّز محددة حجمه وشكله من خلال جدران وسقف وأعمدة وفتحات. يرتبط بعلاقات وظيفية ومكانية مع فضاءات أخرى مماثلة على وفق أنظمة بنائية.

الفناء الداخلي:

وهو: **"جمع أفنية، من فنى يفنى إذا هلك وانتهى. وفناء الدار ما امتد من السعة أمامها، والمكشوف من الأعلى"**(17، ص87). ويُعَرَف بـ: **"(الحُوش)، وهو جمع أحواش. هو شبه الحظيرة والمحل الواسع الذي تتحاش فيه الانعام والدواب"**(17، ص87). ويُعَرَف أيضاً بـ: **"الفناء المفتوح والمكشوف من الاعلى، ليس له سطح ويُحيط به من جميع أو اغلب اضلاعه أحياناً محددات الفضاءات الداخلية المجاورة وأبوابها"(11،** ص72).

التعريف الإجرائي: فضاء داخلي مُشَيأ من محددات الفضاءات الداخلية المحيطة به، بفعل النظام المركزي لتوزيعها، لها خصائص (اجتماعية) تُحقق الالفة بين مستخدميها، و(فيزيائية) توصل الإنارة والتهوية إلى باقي الفضاءات من خلال فتحة السقف.

الإطار النظري:

تقديم :

إن تصميم أي فضاء داخلي يعتمد أنظمة بنائية مختلفة كالنظام البنائي الإنشائي ونظام توزيع الفضاءات الداخلية وانظمة أخرى مماثلة توظف المحتويات من اثاث وموجودات، وأخرى لونية تُعبر عن وظيفة الفضاء وتُعزز أداءه الاستخدامي، لتُشكل جميعها بنية مغلقه في علاقة متكاملة الواحدة مع الأخرى. ولا يُمكن أن تكون هناك جزئيات من غير دور يؤديه كل جزء بفعل علاقته مع الجزء الآخر وبالتالي يؤثر في الكل بفعل هذه العلاقة ودوره فيها. وعليه، تتأثر البنية التصميمية بالوظيفة التي صُممَ الفضاء الداخلي من أجله، وتتأثر أيضاً بظروف اقتصادية وسياسية وثقافية، فتؤثر في افكار المجتمع كأيديولوجية مترابطة. إذ يعمل كل جزء فيه في حدود فعاليته وأدائه، واعتبارات أخرى جمالية وتعبيرية تُحدد عمر التصميم، لاسيما تلك التي تشغل

مكانه خاصة في نفوس شاغليها وتمثل جزء مهم من موروثهم الحضاري، كما هو حال البيت الدمشقي القديم، إذ تفرض ضوابطه وشروطه بنية نسق متسلسل من الكُليات إلى الجزئيات.

إن هذه الكُليات من أنظمة بنائية وما تفرضه من علاقات جزئية بين عناصر التكوين الكلي، تستدعي شروطاً ومواصفات في الحسابات الكمية والنوعية، والكلية والجزئية، والعام والخاص. تدعم مرحلة المعالجات التصميمية في تحليل المركب الشكلي. ليؤدي فعالية أخرى ضمن حدود فعالياته الأساسية التي صممَ من أجله. لذلك تعتمد المعالجات التصميمية ما يقدمه التصميم الداخلي منذُ العمليات الأولى في اعداد الفضاء الداخلي، جزئيات مُكَيَّفه لها قابلية التغيير والتطوير. لا تُنتَهك نسق البنية طالما تؤدي ذات الفعالية، كما هو تغيير وظيفي الفناءات الوسطية عندما تحولت معظمها إلى فعاليات مشابهة للمعيشة كتناول الطعام والمشروبات عند استثمارها مطاعم ومقاهي في نشاط مماثل حفاظاً على الموروث الحضاري من الزوال، الأمر الذي سنتناول على وفقه الأثر الأيديولوجي ودور الكُليات من انظمة تصميمية في التغييرات بجزئيات العناصر التي تُعزز هذه الظاهرة وتدعم فكرتها.

البنية في مفهوم الفضاء الداخلي من الجزئيات إلى الكُليات:

تُعَد البنية ضمن إطار مفهومها في الفضاء الداخلي بِعَدهِ نتاج فن يعتمد على وفق ادائه الوظيفي واعتباراته الجمالية والتعبيرية علاقات جزئية في نمط الإظهار وعناصره التكوينية، يدعو إلى بناء وتركيب هذه الجزئيات بصورة قصدية تحقق أهداف وتلبي الحاجات الانسانية، باعتماده مركبات الشكل في منظومة علائقية تؤثر وتتأثر الواحدة في الأخرى. والبنية بتقديمها أولوية العلاقة على عنصر المادة، بوصفها المتغير الكيفي في الثابت المتمثل بالمادة التكوينية، الذي يُفرق بين تصميم وآخر، على وفق اختلاف طبيعتها ومقاديرها المركبة، فإنها بذلك مغلقة بفاعلية العلاقات بين العناصر وليس بفاعلية العناصر نفسها، وبالتالي يبقى الفضاء الداخلي بنية مغلقة عند تغيير عناصر الاظهار في حدود العلاقات نفسها إذا ما توافرت في هذه العناصر كيفية الترابط على وفق المعطيات التي تمنحها تلك العلاقات. فالتصميم في بنية فضائه الداخلي **"نسيج من عناصر متغايرة ومن علامات مختلفة تُحيل على أنساق رمزية وثقافية متعددة.. وهذه الطبيعة التعددية تشكل عنصراً اساسياً في عملية تكونه، وليست مجرد مظهر خارجي"(5، ص39)**. وعليه، يأخذ معنى الفضاء الداخلي هنا في بنيته الكلية وفي اعتباراتها البنائية حاصل مجموع الاجزاء في نسق علائقي منتظم يُعالق الفكرة بالأداء بين بناها التكوينية. ذلك أن البنية **"تتشكل من عناصر، تخضع لقوانين تميز المجموعة، وهذه القوانين تركيبية لا تقتصر على كونها روابط تراكمية، ولكنها تضفي على الكل، ككل خصائص المجموعة المغايرة لخصائص العناصر"(7، ص9)**. فإذا كان العمل الفني مؤلف من عشر عناصر تكوينية كانت العلاقة العنصر الحادي عشر مع أهميته وهيمنته على العناصر الأخرى.

إن أهم ما يميز الانغلاق في بنية الفضاء الداخلي ذلك التسلسل في أداء وظائف مفرداتها، وتأثير الواحدة في الأخرى، تسلسل في **"كيفية تُنَظَم على وفقها مجموعة عناصر بتماسك وتلاحم، ويتوقف دور كل عنصر من المجموعة على العناصر الأخرى. وهذا ما نجدهُ في الفضاءات الداخلية من خلال تَقييم عنصر اللون بعنصر الضوء، أو تَقييم الأخير بعنصر الملمس، أو تحديد الحركة بالأثاث والعناصر المحددة للفضاء ومفاصل**

مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017 ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print)

الحركة فيها، وكثير من التفاصيل الأخرى"(13، ص11)، التي تُشكل عناصر الفضاء الداخلي، لترتقي إلى بنية مغلقة في حدود المتغير من العلاقات، ولا تقبل استغناء أو حذف جزء منها. ويُمكن أن تكون البنى الجزئية بنية كُلية لمفردة من مفردات التصميم في الفضاء الداخلي، كما هيَ بنى جزئية لبنية الفضاء الكامل. ذلك أن الجزء والكل مقولتان **"تعكسان العلاقات بين الموضوعات المختلفة وجوانبها وعناصرها وكذلك رابطتها. التي تحمل طبيعة الكل، بينما الموضوعات التي تتعلق بها تظهر كأجزاء لها. والكل هو أكثر من مجموع الأجزاء"(24، ص164)**، من خلال نظم وعلاقات معينة يُجسد الهدف من التصميم. وما يُحدد هذه النظم والعلاقات البنائية، تلك الدوافع من الوظيفة، فالنظم والعلاقات هُنا في تحقيق الجوانب الوظيفية يمثلان المرتكز الأساسي في ترتيب وتنسيق عناصر المنجز وتركيبها في آلية بنائية تستدعي أُطر معرفية متعددة ذات العلاقة في بنائها الكلي، ولا يُمكن لأي تصميم أن يخلو نتاجه من نظم التكوين المركب بوصفه فناً أقرب إلى الحسابات الرياضية منه إلى التأويل.

إن المنظومات الكلية والجزئية في الفضاء الداخلي لابُدَّ لها من مستوى متقدم من الوعي والإدراك في عمليتي التحليل والتركيب لاحتواء كل ما يقدمه التصميم من معطيات خدمية في ميدان المعالجات بعد مرحلة التصميم، ليتسنى لها التجدد والتطوير عند تحديد الأثر من المؤثر. كما في تصميم الفضاء الداخلي وما يُحدده الهيكل الإنشائي من شكل وحجم الفضاء، كذلك نظام التوزيع الفضائي على وفق الوظيفة. وما يفرضه ويُحدده شكل وحجم الفضاء من شكل وحجم ونمط الأثاث، كذلك الأخير فيما يُحدده من مكملات وهكذا حتى أدق التفاصيل. ويؤكد أيضاً إلى دور الوسط الاجتماعي والبيئي كقوى مؤثرة، ما يستدعي المقارنة والافتراض والتأمل والتأويل وكثير من الحسابات والفرضيات الأخرى التي تدعم هذه المعرفة وتُقوم معطياتها. وعلى الرغم من صعوبة تقديم عملية على أخرى في التحليل والتركيب ضمن إطار مفهوم الجزئيات والكُليات، إلا أننا تستحضرنا مقولة لـ (ديكارت) يقول فيها: **"أن أرتب أفكاري، فأبدأ بأبسط الأمور وأيسرها معرفة، وأتدرج في الصعود شيئاً فشيئاً، حتى أصل إلى معرفة أكثر"(8، ص268)**. وفي هذا الرأي دلالة أن الفكرة تبدأ مركبة، وآلية البناء تبدأ من الجزء إلى الكُل، لأن ترتيب الافكار تعني الفعل التصميمي في آلية البناء وتبدأ من التجميع كعمليات مُبَسَطة، الى عمليات معقدة، **أي "البدء بالأسهل والتدرج منه إلى معرفة المركب"(21، ص96)**. وبذلك تجري حيثيات المعادلتين في فعل (التصميم والمعالجة) بصورة طردية من الكُليات إلى الجزئيات في إطار مفهوم (التحليل)، ومن الجزئيات إلى الكُليات في إطار مفهوم (التركيب)، بالمعنى مختلف بين الفكرة والفعل، إذ غالباً ما تبدأ الفكرة وتنطلق من الكُل ثم البحث عن كيفية الوصول إلى هذا الكل عن طريق الاجزاء، وكيفية التوسع بالكُل الى كُليات أكبر إذا استدعت الحاجة، كما في المشاريع الكبيرة التي تتطلب المعالجات.

الانظمة والعلاقات في ضوء معطيات التوليد والاختزال :

إن كل عملية فنية تصميمية تستدعي نظماً وعلاقات تعمل على تجسيد فكرة المتطلب الوظيفي. ويشمل النظام البنائي في تصميم الفضاءات الداخلية، كل ما يتضمنه ذلك النتاج من إجراء يُجسد حالة من مفردات البناء الشكلي، كما ذكرنا في النظام الإنشائي المشيد ونظام توزيع الفضاءات الداخلية في عَدِها كُليات،

والعلاقات المترتبة على وفق هذه الانظمة من جزئيات، فبينما يُحدد النظام الاول مساحة واحجام الفضاءات، يقوم الثاني في تحديد العلاقات المكانية بين الفضاءات من حيث القرب والبُعد، على وفق العلاقات الوظيفية فيما بينها، وفي حاصل مجموع الاثنين يتمظهر الشكل التصميمي في بنية نهائية، ذلك أن كل ما تتضمنه العمليات الأخرى في التكوين يترتب على تلك الانظمة وقائم على هيكليتها العامة "**فالنظام الإنشائي يحقق الشكل النهائي للفضاء دون افتعال أو إضافة عناصر غير مطلوبة**"**(26، ص330)**. كما يُحدد أيضاً الشكل الهندسي للفضاء الداخلي، وفي ذلك تحديد مسبق للأنظمة الفضائية وعناصرها التكوينية، التي تُتيح إمكانية التفاعل والتأثير مع باقي العناصر في متسلسل متبادل الواحد مع الآخر، فإن المعالجات التصميمية في هذه البنية تنغلق انطلاقاً من هذه الانظمة، وتنفتح عن طريق جزئياتها من عناصر مادية وفيزيائية، لذلك "**تختلف التنظيمات وتتنوع، لكن المبادئ وقيمتها لدى المصمم تبقى نفسها، فترتبط بعلاقات تربط الأجزاء مع بعضها فتكون بذلك النظام الأساس.. ذلك أن الجانب الإنشائي في التصميم يمثل أولى العمليات الابتكارية التي يبتدئ بها المصمم ويضع تنظيماته الشكلية المختلفة، ومن خلالها تتحرك الاسس والعناصر وتتفاعل للوصول إلى الناتج النهائي للتصميم**"**(18، ص67 -68)**. ليحقق المتطلبات الوظيفية ويلبي المتطلبات الروحية ويؤلف بين مستخدميه طباعاً مشتركاً، بفعل الزمن المستغرق في استخدامه، الذي يجعل من التصميم موروثاً حضارياً بمرور الزمن وبكثرة تداوله الجمعي، فضلاً عن الاحساس المنبعث من حركة الأشكال، كما توحي الدائرة إلى السكون والاستمرارية في آن واحد، والمستطيل إلى الحركة من خلال استطالته، بينما يوحي المربع إلى الألفة والاحتواء(12، ص36)، التي تُعبر عنها الانظمة الفضائية المكانية والوظيفية في التصميم الداخلي.

ومن أنظمة توزيع الفضاءات الداخلية لتنسيق العلاقات الوظيفية والمكانية. هو النظام الخطي وتكوينه للعلاقات المجاورة. والنظام المتوازي وتكوينه للعلاقات المتقابلة. وأنظمة أخرى لها علاقات متنوعة كالنظام الشبكي والشعاعي والخلوي، وأهمها النظام المركزي وتكوينه علاقات الاحتواء، كما موضح في الشكل رقم (1)، الذي يمثل النظام المعتمد في اعداد بيئة الفناء الوسطي. وتأكيده الأُلفة الاجتماعية بين مستخدميه لدوره في توليد الفضاء وتشيئه من حاصل مجموع المحددات المحيطة به، كما في الشكل رقم (2). وبالتالي دور هذا الفضاء في احتواء شاغليه. وفي هذا التوليد الفضائي اختزال للمساحة، وما يدعوا إليه الاختزال من إدراك للمعنى باختصار زمني عند استخدامه، لبساطة مركبه الشكلي وتقليص المساحة والمسافة بين الفضاء الوسطي وباقي الفضاءات الداخلية عن طريق هذا التقارب المكاني. وعليه نجد الاختزال مؤسسة بنائية توليدية في هذا النظام المعتمد، يؤدي فعالية المنجز بتلقي واستخدام وافي ومفهوم دون أن تتخطى معطياته حدود الوظيفة والهدف من التصميم. فالاختزال بمنظوره التوليدي يدعو إلى "**استخدام بنية أكثر اختصاراً من أخرى لها نفس المعنى. وفي اثنين أو أكثر من الجمل ذات البناء الواحد، هو جنس من الحذف يتمثل في عدم تكرار العناصر المشتركة**"**(27، ص47)**. وهناك رأي يقول: أن العلاقة المادية المحسوسة التي تمثل العمل الفني التصميمي من مفردات وعناصر مادية ومعنوية أيضاً، لا تفسر ذلك العمل على نحوٍ مطلق، لان العلاقة تتغير أشكالها وبناها الداخلية إذا ما تعرضت إلى تبدل الشروط الزمانية والمكانية(2، ص136). كما حصل من

تغيير في استثمار البيت الدمشقي لفعاليات أخرى، فقد **"لا تكون العلاقة بين الشكل والوظيفة مباشرة في أن يتبع الشكل الوظيفة، بل في أن تجعل الوظيفة ممكنه"(28, P11-12)**. وهذا ما جعل فضاء الفناء الوسطي على نحوٍ عام قابل للتَكَيُّف والتطوير بفعل اختزال المساحة عن طريق نظام تصميمه، وتعدد فعاليات مستخدميه كفضاء معيشة في البيوت العربية القديمة.

فضاء الفناء الداخلي في البيوت العربية القديمة :

تُصنَف الفضاءات الداخلية السكنية إلى فضاءات عامة وفضاءات خاصة، ما بين فضاء المعيشة والطعام واستقبال الضيوف والفضاءات الانتقالية كالمداخل والممرات، التي يشترك فيها جميع نزلاء المنزل لعموميتها، وبين فضاء النوم والمطبخ والمكتب التي تعني فرد او اثنين لخصوصيتها(31, p33). الأمر الذي يجعل هذا التصنيف علاقة بموقعه المكاني مع باقي الفضاءات الأخرى، مع تحديد شكله وحجمه، ووظيفته الاستخدامية التي تُحدد عدد شاغليه. إذ غالباً ما **"يتم تقييم المباني بقياس درجة الانتفاع.. ولقياس درجة الانتفاع كان من الضروري دراسة كل من حجم الفضاءات وملائمتها للنشاطات المطلوبة"(26، ص330)**. وهذه الحسابات تؤثر في المساحة المخصصة للمبنى الكُلي، فيستدعي اختزال المساحة كما في النظام المركزي، وما يظهر عليه فضاء الفناء الوسطي من تعددية وظيفية (كالمعيشة والطعام واستقبال الضيوف)، في البيوت العربية القديمة على نحوٍ عام.

إن أول شذرات هذا الطابع من التصميم في البيوت العربية القديمة على نحوٍ عام، كان منذُ البناء بالطابوق الطيني كمواصفات عمرانية جديدة في العهد العبيدي ومن بعدها الفترة السومرية في بلاد وادي الرافدين. إذ تكونت من فضاءات مسقفه ذات مساحات منتظمة وأبعاد افقية وعمودية متناسقة، خصصت لوظائف مختلفة كالمعيشة والخدمات المنزلية المتفرقة، توزعت حول فناء داخلي مركزي غير مسقف، وهيَ الساحة الوسطية المكشوفة من الاعلى والمعروفة بالباحة الداخلية للدار، ويعود تاريخ تشييدها أيضاً إلى الفترة البابلية، التي تختلف بعض تراكيبها العمرانية عن مخطط البيت السكني السومري، حيثُ ترتبط الفضاءات ببعضها من الداخل عن طريق الفتحات أو الابواب، بينما في مخطط البيت السومري نشاهد أن الفتحات والابواب تقع باتجاه الفناء الداخلي ويتم التنقل بين مختلف الغرف عن طريق هذا الفناء المكشوف(11، ص42 -46). يُنظر الشكل رقم (3). الذي يوضح مرجعيات النظام المركزي لتوزيع الفضاءات الداخلية وتشيؤ الفناء الوسطي في البيوت القديمة لوادي الرافدين منذُ العهد البابلي. كذلك الشكل رقم (4) وما ظهر من تداول أيضاً في القصر العباسي والبيوت العربية الأخرى، كالبيت البغدادي القديم وبيوت بلاد الشام ومصر والمغرب العربي.

وعلى الرغم من التأثيرات التي تركتها تقاليد فن العمارة الفارسية والعثمانية في هذه البيوت، إلا أن التخطيط الاساسي لم ينله التغيير وظل محافظاً على جوهره الأصيل. وتختلف تصاميمها باختلاف الطبقات الاجتماعية، فتتمايز بيوت الاغنياء والوجهاء منها بالمساحة الاوسع، وبالتالي تتمايز بالحجم والارتفاع وزيادة عدد الفضاءات. وتُعد الفناءات الوسطية الفضاءات الأهم، ليس لتعدد الفعاليات فيها فحسب، وإنما تقوم على توصيل الإضاءة والتهوية الى باقي الفضاءات المحيطة بها لأنها مكشوفة من الأعلى، ومحجوبة عن الانظار من

جهة المدخل (المجاز) الذي غالباً ما يكون باستطالة على شكل حرف (L) لتفادي الفناء عن الشارع الفرعي(25، ص278). وبذلك تمثل محوراً أساسياً لأنشطة المستخدمين، لما تؤديه من بيئة داخلية مُكَيَّفة تُحافظ على الهواء البارد المتبقي من الليل إلى سمك الجدران وسقوف السطح. وخاصية التصاق البيت نفسه من ثلاث جهات بالبيوت المجاورة ما يقلص تعرضه لأدنى حد ممكن من أشعة الشمس الحارة، ودورها في الحصول على الإنارة الطبيعية السليمة، إذ يمكن الإفادة من الأشعة المنعكسة وتوزيعها على نحو مناسب إلى الفضاءات الأخرى المجاورة(20، ص33) فضلاً عن مميزات تخصيصها المساحة الاوسع عن باقي الفضاءات الأخرى وضمن المساحة الصغيرة المخصصة للبيت. وذلك **"يُشير الى براعة المصمم، وهو التصميم على وفق هذه المساحات الضيقة التي غالباً ما تكون للعامة بأبعاد لا تتجاوز الـ (50) متراً مربعاً"(25، ص278)**. وتُشيد للعامة والخاصة بمساحة تتراوح ما بين 50 -150متراً مربعاً، محاط بالبيوت الاخرى من ثلاث جهات وبتراصف متقارب(19، ص27 -29).

الأثر الأيديولوجي والتحولات الجزئية في الفناء الداخلي للبيت الدمشقي القديم :

بدأ هذا النوع من العمارة الخاصة للبيت الدمشقي القديم عام (1036م). إذ بُنِيَ بمساحة صغيرة، لضيق مساحة سور المدينة. وقد امتاز ببيئة داخلية معتدلة عازلة للحرارة صيفاً ومانعة للبرودة والرطوبة شتاءً. وقد انتشرت في العقود الثلاثة الاخيرة ظاهرة تحول معظمها إلى مشاريع سياحية، منها مطلة على شوارع رئيسية في حارات دمشق القديمة وأزقتها، ومنها في مواقع مميزة وسط المدينة القديمة، إلى مطاعم وفنادق وموتيلات (ثلاث وأربع وخمس نجوم) حتى أضحت مقصداً للسياح من مختلف انحاء العالم، ليس بقصد السياحة فحسب، وإنما للإقامة والتمتع بتراث الماضي من منظور معاصر. ففي عام (1992م)، افتتح أول مطعم ذو طراز دمشقي في (باب توما) بين حواريها العتيقة، وهو قصر الامويين. كما تم تحويل العديد من البيوت إلى فنادق وصالات معارض للفن التشكيلي وإقامة الأمسيات الفنية والثقافية واللقاءات الشعرية (المصدر 36). مما يدل أن التحول جاء ضمن الفعاليات نفسها التي صُممَت فضاءات البيت من أجله، سواءً في فضاء المعيشة للفناء الوسطي وتحوله الى مطعم ومقهى. أو حتى في باقي الفضاءات الداخلية الاخرى التي كانت معظمها فضاءات نوم، أصبحت فضاءات منام في الفندق. وهذا التحول منبثق ابتداءً من فكرة اقتصادية ساهمت في الحفاظ والبقاء على هذا التراث من الزوال، ذلك أن دوافع الوظيفة لم تغير نشاط الفناء بكُلياته، كما هو تغيير وظيفة المعيشة بوظيفة مكتب أو ورشة عمل أو أي نشاط آخر مختلف. مما جَعَلَ ذلك الأثر بادرة تدعيم القيم التعبيرية لتراثه الأصيل، وبالتالي تدعيم وتقويم القيم الجمالية فيه.

لقد كان لهذا الأثر الأيديولوجي أبعاد اخرى تنطوي تحت حيثياتها من آثار اقتصادية عند انتشار هذه التحولات التصميمية وجلب السياح وارتفاع الدخل المادي، لا سيما في مجتمع طبقي محدود الموارد **"ففي المجتمع الطبقي تتسم الأيديولوجيا بطابع طبقي"(23، ص80)**، وهذا واضح أيضاً في المساحات المختلفة للبيوت المستثمرة بهذا التحول بين وظائف المطاعم والمقاهي والفنادق، كما موضح في الشكل رقم (5)، التي يحتاج الأخير فيه إلى مساحة أوسع من الباقي. وآثار أخرى سياسية وثقافية استُثمرت في الانتاج التلفزيوني فضلاً عن السياحة، تدعو إلى الحفاظ على هذا التراث لتواكب نظائرها من تصاميم قديمة مماثلة في المنطقة العربية،

ذلك أن **"الفن يعكس الانفعالات والأفكار المرتبطة بالأنظمة الرئيسة للحياة الاجتماعية"(9، ص17)**، فيؤدي الأثر الأيديولوجي هنا، دور كبير في هذه التحولات التي تركزت في جزئيات عناصر الإظهار بجودة عالية من زخارف ونقوش وخامات، مما جعل التغيرات في كُلياتها طفيفة ، والشكل رقم (6) يوضح ذلك. وعليه سجل في عام (1900م) في دمشق القديمة من تلك البيوت (16832) منزلاً، لاتزال تحتفظ منها المدينة بنحو نصف هذا العدد حتى الآن. فضلاً عن عمليات ترميم لعدد كبير من البيوت، لتستثمر بموجبها مشاريع سياحية وصل عددها اليوم بحدود (100) مطعم و(20) فندقاً تراثياً و(6) صالات فنية و(20) خاناً من أصل (137) كانت موجودة في الماضي. وعلى خط الاستثمار قامت الحكومة السورية باستملاك وترميم عدد منها لتكون بمثابة متاحف حية، اجتمع فيها التصميم الممتاز والتعبير الرائع فكان إنتاجاً هندسياً ضخماً، أهم ما يميزه هو الفناء الوسطي(المصدر 33). ذلك هو النجاح الباهر للاستثمار الصائب الذي قدمة المصمم العربي في الحفاظ على تراثه، إلا أن تفاقم هذا العدد من الاستثمار الاقتصادي وبثقافة الارباح بعد نجاح السياحة فيها يُشير إلى مخاوف أخرى لا تقل خطورة عن انقراضها بمغادرة وظيفتها الاساسية، وهذا سجال بين معادلتين متناقضتين ترمي الأولى إلى المحافظة مع التجديد، وتنجرف الثانية إلى هاوية الزوال بفعل التغييرات السريعة والكبيرة في جزئيات التصميم إذا ما أخذت مجالاً أوسع بهدف التجارة بها وجني الارباح.

التحول في بنية الشكل الوظيفي والجمالي للفناء الداخلي:

إن التحول الوظيفي والجمالي في بنية أي فضاء داخلي، كما هو فضاء الفناء الداخلي للبيت الدمشقي القديم يستدعي عمليتي تحليل المركب المعني للمعالجة، لغرض **"تقسيم المادة الى مكوناتها واستخلاص العلاقة بين هذه المكونات والطريقة التي تنظم العلاقة بينها"(16، ص56)**، وعلى الرغم من اختلاف أهمية هذين الاعتبارين بين فضاء وآخر على وفق فعاليته، إلا أن المنفعة في الاستخدام غالباً ما يترك أثره في نفوس شاغليه ومتعتهم الجمالية عندما تستغرق عجلة استخدامه زمناً طويلاً يتحول فيه الفضاء بعد حين من الزمن إلى تراث حضاري يضفي عليهم الشعور بالانتماء إلى هويتهم، كما في كثير من التصاميم ومنها البيوت الدمشقية القديمة وفنائها الوسطي، التي نراها اليوم موضع اهتمام المصممين والزائرين على السواء في البقاء عمراً آخر لفعاليات أخرى قريبة من فعالياتها الاساسية خشية زوالها **"لأن حقيقة الأشياء لا تكمن في الأشياء ذاتها، بل في العلاقات التي نكونها، ثم ندركها بين الأشياء"(5، ص15)**. بمعنى أدق أن حقيقة الفناء الداخلي وعناصره التعبيرية في قيمها الجمالية والاستخدامية تكمن في طبيعة العلاقات المُدركة، ونعني بالمدركة: المُكيفة للتغيير والتطوير ضمن صلاحية البدائل المُعالجة من خلال فهمها وتفسيرها.

وعليه، قد يُعطي استخدام النسب الصحيحة في المعالجات التصميمية الداخلية قوة تعبيرية للوظيفة وللجمالية. كما أن التأكيد الكلي للجمالية في الفضاء الداخلي يأتي من خلال اقل إلى أكثر ما تحمله العين، وقد يأتي حقيقة تبني المتغيرات الجمالية المتعاقبة في عدد من المبادئ المختلفة كالتناسق والتناغم الجمالي. أو تغيرات النسق باستخدام دقيق للمتناقضات(30, p407). وهذه المبادئ هي الاقرب الى مفهوم البنية التي يمتاز به فناء الفضاء الداخلي، كما امتاز في بنيته إلى النظام المركزي المُشيأ له، وبالتالي كان التحول

الوظيفي والجمالي تحولاً ضمن نسق البنية. وكان التحول الجمالي من خلال التحول الوظيفي، عندما حافظ المصمم على فعالية الفضاء وعناصره الشكلية التراثية مع التجديد بطرق الإظهار المعاصرة.

المؤشرات :

1. تتأثر البنية التصميمية بالوظيفة التي صُممَ الفضاء الداخلي من أجله، وهذه الوظيفة مُتأثرة بظروف اقتصادية وسياسية وثقافية، التي تؤثر بدورها في افكار المجتمع.
2. تتمثل الكُليات والجزئيات في بنية فضاء الفناء الوسطي بنظام التوزيع الفضائي للأول، وعلاقات العناصر التكميلية المترتبة على وفق هذا النظام في الثاني. وتعتمد المعالجات التصميمية ما يقدمه التصميم الداخلي منذ العمليات الأولى في اعداد الفضاء من انظمة وعلاقات مُكَيَّفه، لها قابلية التغيير والتطوير في حدود وظيفتها الاساسية. وبالتالي تؤثر الكُليات في الجزئيات بشكل متسلسل.
3. لا تُنتَهك البنية نسقها بفعل التغيرات في نمط الوظيفة نفسها، لأنها تتضمن (الكُليات) من عناصر تكوينية. وانتهاك البنية يقتضي الكيفيات من علاقات. لذلك تنفتح عن طريق جزئياتها.
4. تتغير كيفيات العلاقة في تصميم الفضاء الداخلي إذا ما تعرضت إلى تبدل الشروط الزمانية والمكانية، وعلى نحوٍ خاص عندما يُرافق هذين الشرطين تغيير وظيفي في الكُليات.
5. يُعَد النظام المركزي لتوزيع الفضاءات الداخلية، النظام المعتمد في تصميم الفناء الوسطي. لتشيئهُ من حاصل مجموع محددات الفضاءات المحيطة به، لذلك يتسم باحتواء شاغليه وانشطتهم المتنوعة، مع بساطته عند اختزال المساحة واختزال المعنى المرتبط باختصار زمني.
6. إن فكرة التحول الوظيفي منبثقة من فكرة اقتصادية عززت فكرة الحفاظ والبقاء على تراث المنزل من الزوال كأثر أيديولوجي مع آثار (ثقافية واجتماعية وسياسية)، لذلك لم يُغير التحول الوظيفي نشاط فضاء الفناء بكُلياته، مما جَعَلَ ذلك الأثر ايجابي.
7. تركزت التحولات في جزئيات عناصر الإظهار من زخارف ونقوش وخامات بتقنيات معقدة في بعض الفناءات. وجاءت بأخرى محافظة على الطابع التقليدي، مما جعل التغيرات جزئية في كُلياتها. والتحول الوظيفي والجمالي تحولاً ضمن نسق البنية، يُعزز الأول اعتبارات الثاني.
8. غالباً ما تترك الوظيفية أثرها في الاحساس بالجمال، عندما تستغرق عجلة الاستخدام زمناً طويلاً يتحول فيه الفضاء بمرور الزمن إلى تراث حضاري يضفي عليهم الشعور بالانتماء إلى هويتهم.

الإجراءات الميدانية للبحث:

منهجية البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي لدراسة الحالة في تحليل عينة البحث، وصولاً إلى النتائج الميدانية. بعَدِها الطريقة الأنسب لهذه الدراسة، ولصحته ومواءمته موضوع البحث وحدوده المكانية.

مجتمع البحث:

تضمن مجتمع البحث، الفضاءات الداخلية المتمثلة بالفناءات الوسطية للبيت الدمشقي القديم، كوحدة تصميمية متداولة في أغلب البلدان والمجتمعات الشرقية. والتي تفاقمت مشاريع تحولها إلى مطاعم ومقاهي في

الآونة الأخيرة حتى بلغت ما يُقارب (146) مشروع سياحي. منها مطلة على الشوارع الرئيسية في حارات دمشق القديمة وأزقتها، ومنها في مواقع مميزة في وسطها.

عينة البحث:

نظراً لتشابه تصاميم فضاءات الفناءات الوسطية في البيوت الدمشقية القديمة. المُشيئة على وفق نظام التوزيع المركزي، ومن ثَمَّ تشابه جزئيات كثيرة على وفق ذلك بفعل طبيعة استثمارها الوظيفي المماثل لفعالية (المطعم)، واختلاف جزئيات أخرى بفعل تضمينه من الفندق في بعض المشاريع، وتخصيصه بصورة عامة لمشاريع أخرى، فقد تم اختيار عينة البحث القصدية، لفضاء مطعم الفناء الداخلي لفندق دار الياسمين في باب توما (دمشق القديمة)، بوصفة مطعم ضمن فعاليات مماثلة لفعاليات البيت القديم.

أداة البحث:

لتحقيق أهداف البحث، تم استخدام الأداة المتضمنة أهم المحاور التي استخلصت من مؤشرات تناولها الإطار النظري، تفي اجراءات البحث الميدانية في عملية التحليل. وهيَ كالآتي:

1. دور النظام المركزي في تشيؤ فضاء الفناء الوسطي.
2. الأثر الأيديولوجي في التحول الوظيفي والجمالي للفناء الداخلي.
3. أثر الكُليات في الجزئيات بين الأنظمة والعلاقات.

عينة البحث - الفناء الداخلي لمطعم فندق دار الياسمين في باب توما (دمشق القديمة):

وصف العينة:

يوصف فضاء الفناء الداخلي، بمطعم فندق دار الياسمين ذي الأربعة نجوم الكائن في قلب مدينة دمشق القديمة، وتحديداً في منطقة باب توما، على مقربة من الأماكن الأثرية في دمشق مثل الجامع الأموي وكنيسة حنانيا والقديس يوحنا. يحتوي على (20) غرفة وجناح موزعة لفعاليات مختلفة، منها فعالية المطعم المعنية في الفناء الوسطي الكبير. حيثُ كان البيت فيما مضى قصرا شاميا قديما تم اعادة تأهيله بمواد قديمة، واستُثمر كمشروع سياحي على هيئته الموضحة في الشكل رقم (7). إذ يظهر فضاء كبير مستطيل الشكل على وفق النظام المركزي. جاء مدخل البيت على جهة الجدار الأيسر من الداخل بفتحة مقوسة. بلغ ارتفاعه مسافة طابقين، مفتوح من الاعلى ومسقف بستائر متحركة شفافة. كما ظهرت الارضية بشكلين ولونين من البلاط في نصفين متساويين بالمساحة، ووزعت مناضد الطعام مع مقاعد الجلوس بشكل عشوائي وبكمية قليلة.

تحليل العينة:

دور النظام المركزي في تشيؤ فضاء الفناء الوسطي:

إن الفناء الوسطي المُتَشيّأ بفعل العلاقات التنظيمية في التوزيع المركزي، مُنِحَ سمة الفضاء الداخلي الرئيس ذو فسحة كبيرة تميزَ بها عن باقي الفضاءات بهذا الانفتاح والسعة وبفعاليته الأساسية التي يشترك فيها جميع نُزلاء الفندق عند تناول الطعام والمشروبات، فضلاً عن الزائرين الخارجيين. ودوره كوسيط بين الفضاءات

الأخرى في عَدِهِ فضاء جاء من حاصل جمع محددات الفضاءات المحيطة. الذي قدم دوره الفعال لفعالية لفعالية مشابهة قبل وبعد الاستثمار السياحي.

لقد كان لهذا النظام البنائي في التوزيع الفضائي دور فاعل أيضاً في موضوع الاختزال. إذ نجده متناغماً مع الوسط البيئي المحيط، اختزل مع المساحة المخصصة للمطعم كمية العناصر المادية الإظهارية في تكوين الفضاء المعني ضمن حدوده الشكلية وحدود حجمه أيضاً، على الرغم من كونه الفضاء الداخلي الأوسع من باقي الفضاءات الأخرى، فالشكل الحاصل من هذا النظام، مغلق ومحدد الابعاد، وبالتالي تحددت العناصر التأثيثية والمكملات وكثير من التفاصيل الجزئية على وفق ذلك. وهذا الانغلاق في نظام التوزيع الفضائي يُصاحبه النظام الإنشائي المغلق في تشييد المبنى. الأمر الذي جَعَل استثمار فضاءاته الداخلية على نحوٍ عام والفضاء الوسطي للفناء على نحوٍ خاص، كما هوَ، من غير تغيير في بنيته (الكُلية)، فظهرَ على شاكلته التي ظَهَرَ عليه فضاء المعيشة في البيت الدمشقي القديم، واقتصر التغيير التصميمي في تأثيث مناضد الطعام ومقاعد الجلوس بصورة مُبَسّطَة من دون مبالغة أو تعقيد وتضخيم في كمياتها ونوعياتها البعيدة عن نمط المكان وطرازه، انغلاق آخر في اعتبارات المكان يدعو إلى الحفاظ على تراثه أكثر.

الأثر الأيديولوجي في التحول الوظيفي والجمالي للفناء الداخلي:

إن تحول البيت الدمشقي القديم في منطقة قديمة أيضاً إلى استثمار سياحي ناجح، كما ظَهَرت عليه عينة البحث، وكثير من الاستثمارات المماثلة، التي لا تخلو من أثر أيديولوجي ذي أبعاد (اقتصادية وثقافية وسياسية) تصب في البُعد (الاجتماعي)، ولكنها بلا شك انطلقت من اعتبارات اقتصادية حتى اصبحت ضمن هذه الابعاد في اعتبارات الجميع. فكانت فكرة السياحة هيَ الأكثر شيوعاً بفعل التفاقم المتزايد لهذه الاستثمارات في المطعم والمقهى والفندق التي شهدتها المدينة قبل أن تضع الجهات المختصة استثماراتها للإنتاج التلفزيوني والمنتديات الثقافية الأخرى، للحفاظ على هذا التراث الجميل من الضياع. لذلك جاء التحول الوظيفي لفعالية الفناء الوسطي في الفندق ضمن جزئية فعالية الفناء في البيت الدمشقي، وهيَ تناول الطعام والمشروبات في فعالية المعيشة الأساسية.

ويُعَد التحول الوظيفي بفعل الأثر الأيديولوجي حتمية لابُدَّ منها مع عجلة الزمن وتبدل الشروط الزمانية للحفاظ على هذا التراث مع مواكبة التقدم العالمي، فإن الانطواء على اصالة القديم (مفارقة زمانية) مع الآخرين، والرؤية المفرطة في التحرر من الماضي والمبالغة في مواكبة الحاضر (مفارقة مكانية). والجمع بين الاثنين يستدعي التوازن المتناظر في التعامل مع الثابت ضمن حدود المتغير الممكن وكيفياته. وهنا كان التحول في إطار مفهوم البنية المغلقة للفناء الداخلي في منظومته الجزئية، عندما حافظ على فعالية الفضاء وعناصره الشكلية التراثية. ورافق التحول الوظيفي في هذه الامكانيات تحولاً جمالياً من جانب الشعور ببساطة التغيير بحدود العناصر التقليدية التي تُعزز الاحساس بهوية المكان. إن الأثر الأيديولوجي في بنية الفناء الداخلي ما بين التحول الوظيفي والجمالي وبين الحفاظ على تراثه الأصيل قد تأرجح في معطيات ابعاده بين (الاقتصادية) التي تدعوا إلى التغيير والاستثمار السياحي. و(الثقافية والسياسية) التي تدعوا إلى المحافظة والبقاء، وفي كلا

الحالتين يَعُدّانِ بُعداً اجتماعياً، الأمر الذي جَعَلَ من هذا التحول حدوداً مغلقة تهدف الى الحفاظ على تراث البيت الدمشقي القديم حتى وإن استُثمِرَ لمشروع سياحي كما هوَ الآن في واقع الحال.

أثر الكُليات في الجزئيات بين الانظمة والعلاقات:

إن التغييرات التي حدثت في البيت الدمشقي القديم جاءت ضمن موضوع المعالجات إلى ما يُلبي خدمات السياحة في فندق أو مقهى أو مطعم كما احتوت عينة البحث هذه الخدمات الثلاثة. وتركزت في جزئيات قليلة، تحديداً في مناضد الطعام ومقاعد الجلوس، التي ظهرت بكمية قليلة تناسب عدد نزلاء الفندق من المستخدمين، وبقاء كُلياتها من نظام مركزي وشكل وحجم الفضاء على هيئتها دون تغيير. وما جعل هذه المعالجات في حدودها الضيقة هو الأثر الذي حدده النظام الكُلي في المنظومات الجزئية والعلاقات المترتبة على وفق ذلك. لتتحدد المعالجات التصميمية في بنية الفناء الوسطي انطلاقاً من الانظمة التي تحتوي علاقات خاصة بها، وتنفتح عن طريق جزئياتها من عناصر إظهارية. كما نجد تسقيف الفتحة العُليا للفناء وامكانياتها المتغيرة في جزء منها أو بالكل. إن النظام المركزي الذي تشيأ منه فضاء الفناء، هو المؤثر الرئيسي الذي جعلَ من العلاقة بين الكُليات والجزئيات ضاغط متسلسل بشكل متتالي خطي هرمي، يؤثر الكبير في الصغير وما يلبث الصغير حتى يؤثر في الأصغر وهكذا، ما جعلَ أيضاً بنية الفضاء محافظة على تماسكها وبالتالي حافظت على تراثها الأصيل بعد عملية المعالجات التصميمية في استثمار وظائف أخرى.

إن التغيير الجزئي جاء أيضاً في الارضية عندما اتسمت بمظهرين احدهما في النصف الأول القريب من المدخل، والآخر في النصف الثاني. وساهم غياب الفتحات والنوافذ المطلة الى الخارج نتيجة النظام المركزي أيضاً، عن فضاء الفناء في العزل البيئي وتركيز المستخدم في المكان الذي يشغله فقط للاستمتاع بأجوائه الجميلة بوجود العناصر النباتية واستثمار اشعة الشمس والتهوية الطبيعية من خلال الفتحة السقفية، والمؤثرات الضوئية المختلفة بفعل استثمار الوحدات الصناعية ليلاً. كما كان لتوزيع مناضد الطعام ومن حولها من مقاعد الجلوس بشكل عشوائي دعوة الى الخروج عن النسق الذي يفرضه شكل الفضاء الهندسي (المستطيل)، اشارة الى امكانية التغيير في جزئيات لها امكانية التَكَيُّف دون الاخلال بالنظام الكُلي. فشكل الفضاء وحجمة قد حددا كم ونوع الأثاث المناسب للفعالية، ولكن اسلوب التوزيع قابل للتغيير بأنماط مختلفة من دون ضرر في بنية الفضاء. وعليه كان لهذا الأثر المتسلسل من الكُل إلى الجزء الدور الكبير في الحفاظ على تراث المكان في ظل هذه التحولات الوظيفية التي يشهدها البيت الدمشقي القديم.

النتائج ومناقشتها:

نتائج البحث :

1. حقق نظام التوزيع المركزي للفضاءات الداخلية، دوره الفاعل في موضوع التوليد والاختزال. إذ جاء الأول بتشيؤ الفناء الوسطي عن طريق محددات الفضاءات المحيطة، منحته دور الفضاء الرئيس للفعاليات التي يقوم بها المستخدم، تماثلت في جزئية منها عند تحوله إلى مطعم ومقهى. وجاء الثاني في احتوائه التصميم بالمساحات الضيقة.

2. كان للأثر الأيديولوجي أبعاد مختلفة بين ما تدعو للتغيير كالبُعد الاقتصادي، كما في الخطوة الاولى لعملية الاستثمار السياحي. وما تدعو للمحافظة والبقاء كالأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية للتواصل مع بلدان المنطقة المجاورة والقريبة ممن يمتلكون هذا الموروث الحضاري.
3. لم تبتعد وظيفة الفناء الداخلي بين وجودها في البيت الدمشقي القديم كفعالية معيشة قبل الاستثمار، وبين وجودها في الفندق كفعالية مطعم، بوصفها جزء من المعيشة.
4. يُعَد التحول الوظيفي بفعل الأثر الأيديولوجي حتمية لابُدَّ منها بفعل عجلة الزمن وتبدل الشروط الزمانية. وقد تحقق بفعل ذلك تحولاً جمالياً تُعزز الاحساس بهوية المكان.
5. تحددت المعالجات التصميمية في بنية الفناء الوسطي من الانظمة التي تحتوي علاقات خاصة بها، وانفتحت عن طريق جزئياتها من عناصر مادية وفيزيائية. كما ظهرَ في سقف فتحة الفناء وامكانياتها المتغيرة وما ظهرَ في مناضد الطعام وتوزيعها العشوائي كجزئيات مُكَيَّفة للتغيير.
6. ساهم غياب الفتحات والنوافذ المطلة الى خارج البيت عزل بيئي عن فضاء الفناء وتركيز المستخدمين في مكان الفناء فقط للاستمتاع بأجوائه الجميلة، ما جعلها بيئة منعزلة عن الخارج.

استنتاجات البحث :

1. كان للدور الذي اتسم به فناء الفضاء الوسطي كفعالية اساسية رئيسية أثر في الاستخدام العام الجمعي، والتقاء جميع نزلاء الفندق في فعالية واحدة ومكان واحد.
2. إن ما جعلَ الفضاء محافظاً على تراثه الأصيل بعد عملية المعالجات في استثمارها وظائف أخرى، هو النظام المغلق في التوزيع المركزي للفضاءات، بعَدِه مؤثر في العلاقة المتسلسلة بين الكل والجزء.. ذلك أن خاصية التوليد والاختزال عن طريق هذا النظام جاء بفعل تأثير البيئة المحيطة والمساحة الصغيرة التي فرضت التصميم للبيت الدمشقي ضمن هذا الطابع، وجاء الاختزال لما يتسم به النظام المركزي من مساحة محورية دون استطالة كما في النظام الخطي.
3. إن البُعد الاقتصادي يدعو الى الارباح، بينما تدعو الابعاد الأخرى الى الاتصال بالماضي ومواكبة الحاضر والتواصل مع الآخرين والنهوض بالإرث الحضاري للتعبير عن الانتماء بهوية المكان.
4. جاءت وظيفة فعالية المطعم في الفندق بعد الاستثمار السياحي مشابهة لفعالية المعيشة في البيت الدمشقي، عن طريق ما فرضه نظام البناء الأساسي للبيت، وما يتضمنه من فعاليات معيشية، كما فرض النظام البنائي المركزي المغلق هذا الانتماء والتخصيص الوظيفي.
5. إن مواكبة التقدم العالمي والحفاظ على نتاجات الماضي ضرورة بين الالتحاق بالزمان والانتماء للمكان. والجمع بين الاثنين يستدعي التوازن المتناظر.
6. اقتصر التَكَيُّف والتغير في العناصر الجزئية للأثاث والمحددات الأفقية، لأن المحددات العمودية (الجدران)، مرتبطة بالنظام المُشَيد (المغلق)، ومرتبطة بفضاءات أخرى.

مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017 ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print)

مقترحات وتوصيات البحث :

1. الحفاظ على النظام المركزي من أي تغيير أو تطوير يُغيب بنيته الكُلية. بوصفة احد سمات التراث الذي يتحلى به البيت الدمشقي القديم. فضلاً عن إمكانيته المُثلى في التصميم بالمساحات الضيقة وتقويم فكرة الاختزال التصميمي.
2. إمكانية التحكم بالمحدد السقفي للفضاء المُشيأ، والتعامل بانفتاحه وانغلاقه على وفق متطلبات البيئة المناخية.
3. أن يكون شكل الجزئيات التصميمية التي تقع ضمن معالجات المصمم تقليدية وذات علاقة مباشرة مع تراث البيت الدمشقي، في مقابل أن يكون التطوير في طرق اظهاره واخراجه والخامات المستحدثة فيه بتقنيات تواكب روح العصر، ولكن مُبسطة ومفهومة وتحمل الطابع المتداول ضمن نسيجهم الحضري للفئة المستخدمة.
4. اعتماد النظام المركزي في توزيع مناضد الطعام ومقاعد الجلوس، ومنح فضاء المطعم خصوصية الفعالية بجمالية أكثر .
5. اعتماد الدراسة الحالية لما توصلت إليه النتائج، لبيان دور الأثر الأيديولوجي ودور كل بُعد من أبعاده على هذا التغيير الوظيفي مع المحافظة على تراث المكان.

المصـادر :

1. ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، المجلد الاول، الجزء الاول، بيروت لبنان، 2005.
2. أحمد يوسف، **الدلالات المفتوحة - مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة**، ط1، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، 2005.
3. أمبرطو ايكو، **الأثر المفتوح**، ت: عبد الرحمن بو علي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، سورية، اللاذقية، 2001.
4. البياتي ، نمير قاسم خلف، **ألف باء التصميم الداخلي** ، مطبعة جامعة ديالى ، 2005.
5. بو عزة، محمد، **استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية**، ط1، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، 2011.
6. ترنس هوكز، **البنيوية وعلم الإشارة**، ت: مجيد الماشطة، مراجعة: ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1، بغداد، 1986.
7. جان بياجية، **البنيوية**، ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1979.
8. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، منشورات ذوي القربى، ط1، الجزء الأول، 1385هـ.
9. جون ديوي، **الفن خبرة**، ت: زكريا إبراهيم، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.
10. الجوهري، اسماعيل بن حمّاد، **معجم الصحاح**، ط1، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، 2012.
11. الحيدري، علي، **البيت البغدادي - التطورات المعمارية التي طرأت على البيت العراقي مع الزمن**، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، 2008.
12. روبرت جيلام سكوت ، **أسس التصميم** ، ت: محمد محمود يوسف ، عبد الباقي محمد إبراهيم ، دار النهضة للطبع والنشر ، القاهرة ، 1988.
13. الزبيدي، حسين جمعة نجم، **البنيوية التركيبية كإستراتيجية في التصميم الداخلي**، رسالة ماجستير في التصميم الداخلي، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، بغداد، 2010.
14. زكريا إبراهيم، **مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية**، دار مصر للطباعة، القاهرة، بدون سنة طبع.
15. صلاح فضل، **منهج الواقعية في الإبداع الأدبي**، دار المعارف ، ط2، القاهرة ، مصر، 1980.
16. الصوفي، عبدالله اسماعيل، **معجم التقنيات التربوية**، عربي/ انكليزي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن ، 2000.
17. عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية**، ط1، مكتبة مدبولي للنشر، 2000.

18. العاملي، غادة حسين، **المرتكزات الأساسية للتصميم والإخراج الفني**، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2008.
19. القصيري، اعتماد يوسف، **الخصائص التخطيطية والمعمارية للبيت البغدادي خلال فترة الحكم العثماني**، منشورات مؤسسة مصر مرتضى للكتاب، 2012.
20. كمونه ، حيدر عبد الرزاق، **الفناء الداخلي وتصميم المسكن العربي التقليدي**، (التراث الشعبي)، مجلة فصلية، العدد 3، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 2006.
21. مجدي وهبه، المهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984.
22. مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، 1983.
23. مجموعة من الكُتاب الروس، **المعجم الفلسفي المختصر (رؤية ماركسية)**، دار التقدم، موسكو، 1986.
24. م. روزنتال، ب. يودين، **الموسوعة الفلسفية الروسية**، ت: سمير كرم، بيروت: دار الطليعة، 1981.
25. مكية، محمد، **بغـــداد**، ط2، شركة دار الوراق للنشر، لندن، 2009.
26. الملا حويش، عقيل نوري، **العمارة الحديثة في العراق– تحليل مقارن في هندسة العمارة والتخطيط**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.
27. ❖❖❖، **معجم اللسانيات**، : جمال الحضري، اشراف: جورج مونان، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012.

ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print) مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017

المصادر الانكليزية

1. Ching Francis D.K,**Interior Design Illustrated Van**, Nostrand Reinhold Company, New York, 1987.
2. Eadel, Abraham and fracksen, Jean (farme the philosophic idea and some of its problems), university of pisylvania, USA, 1982.
3. Friedman, Arnold and John F. Pile and Forrest Wilson**, Interior Design,** Elserier, Scientific publishing Company, New Yourk: 1977.
4. Hakim, BesimSelim, **"Arabic-Islamic Cities, Building and Planning Principles"**, Kpi Ltd. London, 1986.
5. Hope , homas**"Household Furniture and Interior Design ecoration "** printed in Great Britain London , 1980.
6. http://www.albayan.ae/five-senses/2010-06-11-1.254119
7. http://www.almosafr.com/forum/t61844.html
8. http://www.arabtravelersforum.com/travel332260.html
9. http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9896&article=345024#.WD0xG_krJkg
10. https://ar.hotelscombined.com/Hotel/Dar_Al_Yasmin.htm
11. http://www.bani-alabbas.com/albums.php?action=show&id=8
12. http://www.christian-guys.net/vb/showthread.php?112197-%C7%E1%DD%E4%C7%CF%DE-%DD%ED-%CF%E3%D4%DE
13. http://egypttimetourism.blogspot.com/2012/10/blog-post_5795.html
14. https://www.google.iq/search?q

    =صور+البيوت+الدمشقية+القديمة
15. https://www.hawaaworld.com/showthread.php?t=3945986
16. http://www.khorh.net/vb/1257459-23-post.html

مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017 ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print)

الملاحـق:

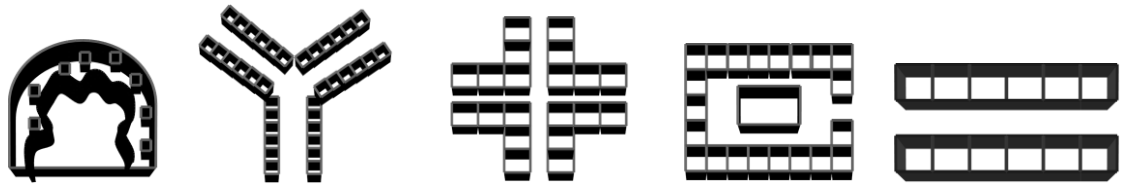

شكل رقم (1)(13، ص73)

شكل رقم (2)(المصدر 41)

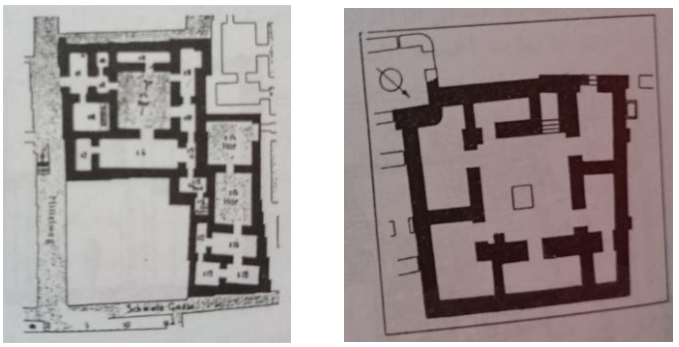

شكل رقم (3)(25، ص43-44)

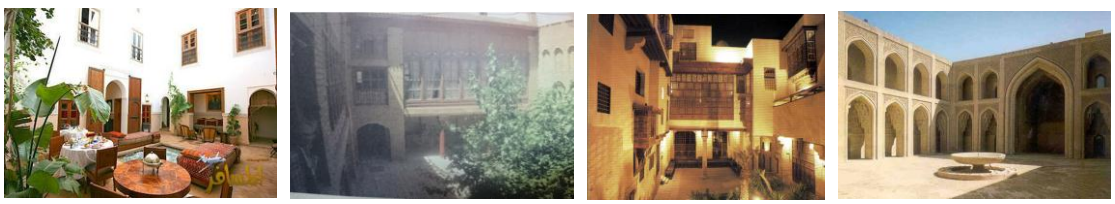

شكل رقم (4)(المصادر38، 34 ،19، 40)

مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017 ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print)

شكل رقم (5) (المصدر 39، 43)

شكل رقم (6)(المصدرين 35، 42)

مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017 ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print)

شكل رقم (7)(المصدر 37)

صور عينة البحث- الفناء الداخلي لمطعم فندق دار الياسمين في باب توما (دمشق القديمة)

ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print) مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017

Finally , chapter four included the finding of the research through the analysis process and conclusion with suggestions and recommendation .

The main results of the study are as follows :-

1. The central distribution system of the internal spaces achieved its active role in the issue of generation and reduction. The first was the construction of the central courtyard by means of the surrounding spaces . It was given the role of the main space for the activities of the user . The second came in a design with narrow spaces.
2. The ideological impact has different dimensions between what calls for change such as the economic dimension , as in the first step of the tourism investment process and what calls for preservation and survival as social . cultural , and political dimensions to connect with the countries of neighboring region and nearby who have this cultural heritage .
3. The design treatment in the middle courtyard structure were determined by systems that had their own relationships and were opened by their physical and physical elements as reflected in the roof of the yards opening and it changing possibilities, what appeared in the tables of food and their indiscriminate distribution as adoptable.

ISSN 2523-2029 (Online), ISSN 1819-5229 (Print) مجلة الأكاديمي-العدد 86-السنة 2017

The ideological effect in the in Interior space structure

.....Hussain Juma'a Najim AL - Zubidy

Summary of the research

Design system often generated relationship within the frame work of their concept of interior design a system or more can be created between design relationships within this concept in the structure of its internal space product. Through the division of all to it parts to reveal the hidden places and stages of composition and their relationship and interdependence between them. And then re- composition of all its parts, doth in the deign process at the initial stages or in the processes of treatments that are necessary after the completion of design and circulation. To be able to use other events close to the first events designed for them. In terms of idea logical in fluency and its social, economic, cultural and political dimension. As well as the surrounding environmental environment, which imposes a system of distribution of these spaces and their shape and size and then determine the pieces of pieces of furniture to the smallest detail. And the extent of the impact of these molecules in the college and absorption of the latter and the type of those particles which makes it adapted to the variables of development and regeneration within the limits of its structure according to time and place variables.

Therefore, the researcher chose to select title of his research which is marked by ((the ideological effect in the in Interior space structure)). It is interested in studying the structure of the central courtyard in the old Damascus – Arab house. Which is witnessing today a shift in its functional structure by tourism investment in the city. Accordingly the study focused on four chapters, the first chapter dealt with the method logical frame work in presenting the problem which included know ledge of the ideological impact and its role in the functional. Transformation of the inner courtyard ,and its role in preserving its original heritage from the die appearing with the help of structure system of designs , and its importance and objectives and limits and then define the terms used in the research and definition. The second chapter included the theoretical framework dealing with the structure and relations in the concept of internal and relations in the particle of the college space from the particles of the roots of the review of the historical roots of the references of the central system which is characterized by the internal courtyard as well as the ideological impact in the transformation and carrier of the. old Damascus house for other events. In this chapter a set of indicators was adopted which was adopted in the analysis process for the field research procedures. The third chapter included the research procedures in terms of methodology. The descriptive approach was adopted in the case study for the analysis of the sample and the research society represented by the old Damascus houses and its intentional sample . The three axes then describe the sample and analysis it.